

تلقى الشعر الإسلامي الحديث في أطروحة الباحث الأكاديمي أحمد محمد الزهيري (الشعر الإسلامي الحديث في اليمن 1917 – 1962 م الرؤية و الفن)؛ دراسة في الفهم و التأويل
The Reception of Modern Islamic Poetry in the Thesis of Academic Researcher Ahmed Mohamed Al-Zuhairi: "Modern Islamic Poetry in Yemen 1917–1962: Vision and Art – A Study in Understanding and Interpretation"

* ط.د عبد الحق لمشيطة¹ / د. رضا معرف²

Abdelhak Lemchait¹ / Redha Marref²

مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها
جامعة محمد خيضر - بسكرة (الجزائر)

University of Mohamed Khider- Biskra (Algeria)

Abdelhak.lemchait@univ-biskra.dz¹ / redha.marref@univ-biskra.dz²

تاريخ النشر: 2025/03/02

تاريخ القبول: 2024/11/27

تاريخ الإرسال: 2024/09/15

ملخص البحث

سعت جهود النقاد القدامى إلى تأسيس منهج نقدي إسلامي نابع من رؤية وتصور إسلاميين، لكن الفكر القادم من الغرب عمل على عزله وإبعاده بحجة الجحود وافتقاره إلى أجهزة مصطلحية علمية دقيقة، على الرغم من توافر الجهد الأكاديمي في الجامعات العربية على الكثير من الرسائل والأطروحات التي اهتمت به لكنها ظلت رهينة الرفوف المهملة يعلوها غبار القطيعة.

وجاءت هذه الدراسة لتقديم قراءة نقدية في الفهم والتأويل لأطروحة دكتوراه للباحث الأكاديمي أحمد محمد الزهيري الموسومة بـ " الشعر الإسلامي الحديث في اليمن 1917 – 1962م الرؤية و الفن". من خلال تحليل مجموعة من النماذج الشعرية المختارة وفق الرؤية الشعرية والمكون الفني للخطاب الشعري الإسلامي اليمني الحديث، حيث استطاع الزهيري بلورة إشكالية إعادة قراءة المنتج الشعري الإسلامي وفق منهج نقدي أصيل أنسب لأن يكون بديلاً فعلاً عن المناهج النقدية الغربية الوافدة إلى الساحة النقدية العربية. الكلمات المفتاحية: رؤية شعرية، مناهج نقدية، نقد إسلامي.

* عبد الحق لمشيطة: abdelhak.lemchait@univ-biskra

Abstract

The efforts of early critics sought to establish an Islamic critical methodology rooted in Islamic vision and perspective. However, Western thought worked to isolate and marginalize it under the pretext of rigidity and a lack of precise scientific terminology, despite the academic efforts within Arab universities, where many dissertations and theses addressed the topic. Yet, these remained confined to neglected shelves, covered by the dust of estrangement.

This study presents a critical reading of understanding and interpretation, focusing on the PhD dissertation by the academic researcher Ahmed Mohamed Al-Zuhairi, titled "Modern Islamic Poetry in Yemen 1917–1962: Vision and Art." Through the analysis of a selection of poetic examples, it examines the poetic vision and artistic components of modern Yemeni Islamic poetic discourse. Al-Zuhairi succeeded in formulating the problematic of reinterpreting Islamic poetic production through an original critical methodology, which he deemed a more effective alternative to the Western critical approaches introduced into the Arab critical field.

Keywords: poetic vision, critical methodologies, Islamic criticism

**مقدمة**

تعد عملية التلقي في الخطاب النقدي المعاصر من أهم العمليات التي ارتبطت بالخطاب الأدبي لاسيما الشعر الإسلامي، خاصة في ظل التحولات الفكرية والفنية التي عرفت القصيدة العربية الحديثة، وكذا التحولات التي شهدتها الأمة العربية في مختلف القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية، مما أتاح للمتلقى إعادة قراءة المنجز الشعري الإسلامي وتأويله وفق رؤية إسلامية قادرة على احتواء النص العربي، ومؤسسة لمنهج نقدي يمتلك الإمكانيات التي تجعله يتوغل في بنات النص الإسلامي، فيبرز ملامحه الأساسية ومقوماته الأصلية بأكبر قدر من الموضوعية.

وتأسيسا على ما سبق نسعى في هذه الورقة البحثية إلى إضاءة جانب من جوانب تلقي الشعر الإسلامي الحديث في خطاب الناقد أحمد محمد الزهيري (الشعر الإسلامي الحديث في اليمن 1917-1962

الرؤية والفن)، وذلك برصد منطلقاته الفكرية التي أسس عليها رؤيته النقدية، وآليات تلقيه للنص الشعري الإسلامي اليمني الحديث، وبناء على ذلك يمكننا طرح الإشكالية الآتية: فيم تتمثل المرجعيات التي أسس عليها الناقد الزهيري فهمه وتأويله لنصوص الشعر الإسلامي الحديث في اليمن؟ بالنسبة للمنهج المعتمد في هذا البحث، فقد اخترنا مجموعة من المناهج، كالاقتصادي لتحليل القضايا السياسية، وكذا السيميائي باعتباره منهج يساعد على فهم النصوص من خلال دراسة آليات التناص وأنساق الرموز، بالإضافة إلى المنهج البنوي في تحليل و تفسير مكونات الخطاب الشعري الإسلامي اليمني الحديث.

1- تلقي القضايا السياسية في الشعر الإسلامي اليمني الحديث :

تأسس بنية الرؤية الشعرية في الخطاب الشعري اليمني انطلاقاً من التزام الشاعر بواقع الأمة الإسلامية المرتبط بإيديولوجيات العقيدة، التاريخ، اللغة، الأرض، والتي يتبنى المقتنع بها مبادئها ويدافع عنها، وهذه الإيديولوجيات لا تنفصل تشريعاتها عن واقع الحياة، والشاعر المسلم جزءاً من مجتمعه فعليه أن يتبنى ما يدعو إليه دينه بطريقته التي ميزه الله بها عن عباده ؛ أي بالشعر، ولكن لا يجب على الشاعر أن يناقض الإبداع أو يميل إلى قيمة المضمون دون جاليات التكوين الشعري.

يقودنا الحديث عن الرؤية الشعرية في الشعر الإسلامي الحديث في اليمن إلى الحديث عن مرجعيتها التكوينية لاسيما السياسية منها وما تعلق بأمور الاستعمار والدعوة إلى التحرر، والتوجه نحو مضامين القومية الإسلامية، والحقيقة أن الشاعر اليمني كان بشعره دوماً حيث يكون الجرح، فإن كان الجرح في فلسطين سال الشعر دماً في فلسطين، وإذا كان الجرح في الجزائر بكى الشعر على الجزائر، فالشعراء اليمانيون يرون أن الأمة الإسلامية العربية جسد واحد.

أ- قضية فلسطين :

تعد قضية فلسطين أكثر حضوراً في الواقع السياسي والاجتماعي اليمني بصفة خاصة والعربي بصفة عامة لا باعتبارها إيديولوجية الجماعة المعبرة عنها، بل بوصفها نسقاً فكرياً مفروضاً على الأدب والمجتمع الإسلامي في آن واحد، فقد ارتبط إحساس الشاعر المسلم بأحداث قوميته وقضاياها ارتباطاً قوياً وهذا ما أشار إليه الزهيري في حديثه عن نصرته القضية الفلسطينية في " شعر حماسي يدعو إلى الجهاد والنضال والذي يرسل التهديدات المرعبة إلى الغزاة المحتلين، والأمانى المطمئنة إلى الفلسطينيين. يقول علي أحمد باكثير :

" لا قَوْلَ بعدَ اليومِ يا فلسطين
لكن قِعالَ كَقِعالِ حِطَين
هَذَا صلاحُ الدِّينِ من عَنانِكَ
يستنفِّرُ العربَ إلى مِيدانِكَ
وَأَينا يُدعى فلا يَجيبُ
صوتُ صلاحِ الدِّينِ إذ يهيبُ
كفى كفى قولاً كفى كفى كفى
هذي بلادُ يعربُ على شفا

لا مصرنا تبقى ولا العراق إن طار من يميننا البراق
 لمن القوم من نفايات الأمم هم شرّ مظلوم وشرّ من ظلم¹
 يرى الزهيري أن النص يتمحور على فكرتين رئيسيتين : " الأولى حصّ على الجهاد، و دعوة إليه تعيد
 إلينا وقائع يثرب وخيبر وحطين، حيث كان شعار المسلمين (جواب ما ترى لا ما تسمع)، الثانية : ضيق
 الشاعر من التنديد والاستنكار الذي هو سلاح العرب والمسلمين اليوم، فلا يكاد يزيد رد الفعل على أي
 اعتداء يتعرض له المسلمون في أي بقعة من الأرض على الألفاظ (ندين ، نستنكر، نشجب ، نناشد، نطلب)
 التي لا تردع عدوا ولا ترد ظالما، وهذا يناهز منهج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهج الخلفاء من بعده، إذ كانت
 الدولة تستجيب لنداء امرأة مضامة كما حدث مع بني قينقاع وعمورية وغيرها، واليوم لا تجرؤ أمة تعددها مليار
 مسلم وأكثر أن تقول لا لقتل شعب بأكمله.²
 تشير قراءة الزهيري لهذا النص الشعري إلى حالة التنشيط التي حلت بالأمة العربية، وإلى ما كانت
 عليه الأمة من عز في ماضيها وما آلت إليه من ذل في حاضرها، إذ صارت دولة العرب العظمى بتشتتها دولة
 صغرى، لا وزن لها من بين الأمم نتيجة الخذلان، وابتعادهم عن قضيتهم الرئيسية، إذ صار دفاعهم عن الأقصى
 مجرد كلام وشعارات ورفض واستنكار دون عمل، مما جعل الشاعر الجمني يعود بالقارئ إلى استلهم الشخصيات
 التاريخية والمعارك الإسلامية كصورة من صور التاريخ الإسلامي وإحيائه في تشكيل جالي لاسيما أن
 أغلب هذه الاستدعاءات ارتبطت بالشخصيات البطولية وبالمعارك التي لها كان الأثر العظيم في مسيرة التاريخ
 الإسلامي، يقول علي أحمد باكثير :

لا قول بعد اليوم يا فلسطين لكن فعال حطين
 هذا صلاح الدين من عنانك يستنفر العرب إلى ميدانك

يستحضر الشاعر شخصية صلاح الدين ويتمنى عودته ليرى ما وصلت إليه الأمة من تقاعس في الجهاد
 وجملها في فهم قيمه، فلم يعد للعرب صلاح الدين، فكيف يكون النصر بلا قادة يذلون الروح من أجل قضيتهم؟
 الملاحظ أن الشاعر "باكثير" في استدعاءاته لرمز البطولة التاريخية "صلاح الدين الأيوبي" و الرمز
 المكاني " معركة حطين"، يحاول أن يعيد قراءة الواقع و مقارنة ماضي الأمة بحاضرها، وما يمكن أن نجده في
 ماضيها من شعلة قد تنير للأمة واقعها المرير، كما أنه لا يتعامل مع التاريخ تعاملًا يعتمد على سرد الحقائق إنما
 يضيف على معطياته من واقعه وفق ما يؤكد قناعته ورؤاه، و بما يكتنفه هذا السياق التاريخي من قيمة فنية
 ودلالات إيحائية يريد إيصالها إلى وعي ووجدان المتلقي .

تجسد رؤية الشاعر الوعي الواقعي في فهم المشاكل والمساوئ التي يعيشها العالم الإسلامي من غير أن يعمل على تجاوزها، لأنه خاضع لسلطة مفروضة عليه بالقوة أو ما يسميه الماركسيون بضغط البنية التحتية ويتطلع العالم الإسلامي إلى تغيير واقعه من خلال فرض الوعي الممكن كحتمية وجودية لرفض القيود وتجاوز واقعه الراهن على المستوى السياسي والثقافي والاقتصادي، وإحداث قطيعة مع الكيان الغربي المناصر للإرهاب الصهيوني في مجلس الأمن، وأن حتمية الجهاد هي السبيل الوحيد لخلاص الأمة الإسلامية من براثن المحتلين للقدس. وفي هذا السياق يقول محمد سعيدة جرادة :

"يَا أُمِّيَا الْفَادُونَ قَصْرَ عَزْمَكُمُ لَيْلَ الْعُرُوبَةِ
وَجَلَا الطَّرِيقُ وَكَانَ يَزْخُرُ بِالْمَتَاهَاتِ الْمَرِيَةِ
هَذَا طَلَائِعُكُمْ تُزَلْزَلُ مَوْضِعَ الْقَدَمِ الْغَرِيبَةِ
فِي جِهَةِ الْجَوْلَانِ أَصْدَاءُ (لُحْطِينَ) الرَّهْيِيَةِ
وَعَلَى ثَرَى الْأُرْدَنِ خَيْلُ أُمِيَةٍ تَطْوِي دُرُوبَهُ
وَأَمَامَ أَبْرَاجِ الْقُنَالِ مَنَاطِرُ لِكْفَاحِ طَيْبِهِ
خَلَوْا (عَكَازًا) لِقَيْسٍ يَسْمَعُ جَمْعَهَا الْغَاوِي خَطْبِيهِ
وَلْتَدْنِ طَلَقَاتُ الْقَذَائِفِ فُرْصَةَ الثَّأْرِ الْقَرِيبَةِ
قُولُوا لِأَعْدَاءِ الشُّعُوبِ قَنَاءَ أَمْتِنَا صَلِيْبِهِ
لَا سِلْمَ لِلْمَسْلُوبِ حَتَّى يُرْجَعَ الْأَرْضُ السَّلْبِيَّةُ"³

إن خطة الكيان الإسرائيلي في احتلال فلسطين وفرض هيمنته الكاملة عليها لم تكن وليدة الساعة، فقد كان هذا الكيان ومنذ بدايات القرن العشرين يسعى بمشروعه الاستيطاني إلى تحقيق هدف التوسع والاحتلال الكلي لفلسطين، إلى أن وصل إلى مرحلة ما يعرف بـ (الكتاب الأبيض) الذي صدر عن البريطانيين من أجل صياغة وثيقة سلام وإيجاد حل للصراع بين فلسطين وإسرائيل، فهلل له العرب واجتمعوا له مناقشين، لكن الشاعر محمد محمود الزبيري لم يره أبيضًا، إنما رآه أسودًا، وأنه ليس سوى كفن لعزتهم نسجته سراديب الانجليز ليخدعوا به العرب والمسلمين يقول :

"إِنَّ الْكِتَابَ الَّذِي جُدِّتُمْ بِهِ ثَمًّا
لَمْ يَحْسِبُوهُ سِوَى أَكْفَانٍ عَزَّتْهُمْ
لَمْ يَشْفَهُا مِنْكُمْ الْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
مَا نَالَ فِيهَا الْمَنَى إِلَّا ائْتَدَابَكُمْ"⁴

إن استشراف الخطاب الشعري الإسلامي لواقع القضية الفلسطينية في العصر الحديث يبدو جليا في التحذير من الأحاييل التضليلية لليهود والسياسة الانجليزية، وقد جاءت هذه الرؤية الاستشرافية من معرفة المسلمين العميقة بتاريخ اليهود وما طبع على سميتهم من غدر وخيانة وعدوان وتآمر، وبما قص عليهم القرآن من أخبارهم التي احتلت مساحة تعبيرية استغرقت سورا طويلة فيه . وهذا ما جعلهم يؤكدون في كل حقبة زمنية أن اليهود لن يرضوا بنصف فلسطين كما زعمت هيئة الأمم المتحدة، ولا بفلسطين كلها وهو ما بدا واضحا في حرب 1967، وأن مشروع اغتصاب الأراضي الإسلامية مستمر بدعم قوي من العقيدة اليهودية التي تؤمن أن أرض إسرائيل هي أرض الميعاد التي تمتد من الفرات إلى النيل، مما يجعل حلول التسوية السلمية ومؤتمرات السلام عبثا يتلهمى به اليهود ويعدون به قوى الأمة عن طريق التحرير، وهذا ما جعل الشاعر علي أحمد باكثير يرفض صلح أهل الخيانة وإثبات عدم فعالية هذه السياسات، وأنه لا جدوى من معاهدات واتفاقيات السلام يقول :

"لا صلح يا قومي وإن طال المدى

وإن أغار خُصْمُنَا وأنجدا

وإن نعى وإن طغى وإن غدا

ورَوْعُ القدس وهدّ المسجدا

و شَادَ في مكانه هيكله الممردا

و شرّد الألوّف من ديارهم وطردا

وذبح الأطفال والنساء و الشيوخ ركها سَجدا

يلتمس العدو صلحتا سدى

لا لن يكون سيّدا

و لن نكون أعبدا"⁵

يرى الزهيري في خطاب الشاعر علي أحمد باكثير تحذيرا من "معاهدة الصلح والانخداع بوعود السلام وبقينه بحتمية المعركة وثقته بالأمة وانتصارها، والمتتبع لسير الأحداث في فلسطين يجد صدق حدس الشاعر فبعد أن كان اليهود ومن ورائهم حلفاؤهم يلهثون وراء السلام، والفلسطينيون والأنظمة العربية يرفضون. وبعد أن ألقت الأنظمة أسلحتها وركضت وراء السلام. تصلّبت مواقف الأعداء، وهام اليهود اليوم يضربون الشعب الفلسطيني الأعزل بكل أنواع الأسلحة".⁶

تتضمن مفردات الشاعر "باكثير" في خطابه الشعري ميلا قويا إلى اعتبار القضية الفلسطينية قضية إسلامية بالدرجة الأولى، مما يستوجب معالجتها انطلاقا من رؤية قرآنية بعيدا عن الخطابات السياسية العلمانية والاشتراكية لأن الكيان الصهيوني الذي نواجهه مسلح بالرؤية التوراتية التي يؤسس عليها احتلاله لفلسطين فالمعركة مع اليهود معركة عقيدة لا يمكن للمسلمين أن ينتصروا فيها إلا بسلاح العقيدة، وعدم القبول بمشروعات التسوية فالقرآن الكريم يحرم مسالمة المعتدين ويدعو إلى محاربتهم واستعادة الحق الإسلامي منهم. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَ أَعْمَالَكُمْ﴾⁷، كما حرم كل معاهدة تؤدي إلى أضعاف المسلمين وزرع الفرقة بينهم، أو تؤدي إلى إتاحة الفرصة للعدو للاعتداء على فريق آخر من المسلمين.

ب- قضية الجزائر:

اتخذت التجربة الشعرية اليمنية من قضية الجزائر فضاءً واسعاً لإبراز رؤية العالم التي تتماثل وتتشترك فيها العديد من قضايا الأمة الإسلامية والعربية من خلال الدين، اللغة، التاريخ، والقضية الجزائرية لانتمهم الجزائريين وحدهم، إنما هي مأساة تهم كل مسلم كما تهمه كل قضية إسلامية، وقد عبر الشاعر "عبد عثمان" بألم وحسرة عن هذه المأساة، يقول:

"حريق شَبَّ في بيتي

.....

وفي أُفتي

تدلَّت رايَةُ الموتِ

أُنَادِيكُمْ من السجني

لَقَلْتُم لي

فَأَيْنَ القيْدُ؟

و أين السور؟

وَأَنْ أَشْكُو لَكُمْ ليلاً من الديجور

لقلتم ربما أعمى

وَأَنْ يَوْمًا بكم صَحْتُ

أنا مطعونُ

لقلتم لي فَأَيْنَ الدَّمُ؟

و أين السيفُ والخنجرُ

و لكني إذا أعطيتكم عيني

وإذا ألبستم ريشي
وحلّقت على (وهران)
فماذا قد تقولونه⁸

اتخذ الزهيري من عنوان القصيدة " قلب في الجزائر " مفتاحاً رمزياً يوجه القارئ، يكشف من خلاله عن دلالات خصبة، تتيح له أن يندمج ضمن البنية الكلية مما يحقق التواصل الدلالي، ومن ثم الوصول إلى غايات النص، فالصورة الشعرية (حريق شب في بيتي) تبين مدى تغلغل النظرة الوجودية والرؤية القومية عند الشاعر، "فأساة الجزائر هي مأساته فهو سجين ينتظر الموت، لكن العجيب أن أحداً لا يصدقه وهذا يظهر مدى معاناة المثقفين بسبب مصائب البلاد الإسلامية، بينما يعيش عامة الناس ساديين لا يحسون بشيء، فضلاً عن ذلك فحينما يشكو الشاعر السجن، والظلام، اللذين يرمز بهما للمستعمر الفرنسي، ويحاول تبصير الناس بهذه الحقيقة ينكر عليه الآخرون ذلك متسائلين (أين القيد – وأين السور)، ويتمونه بالعمى هنا يدرك الشاعر البون الشاسع بين نظرة الشاعر وخياله المخلق الذي يكتشف الحقائق لا عن طريق العين البصيرة التي يملكها كل الناس، وإنما عن طريق العين المدركة التي يميز بها المبدعون دون غيرهم، وهنا يتخلى الشاعر لو يعيرهم عينيه وريشه لينظروا ماذا يحدث في وهران".⁹

حاول الزهيري من خلال تلقيه لشعر عبده عثمان أن يبرز مدى التزام الشاعر المني بقضية بالثورة الجزائرية فعلى الرغم من الضغوط الكبيرة التي كان الشعراء يتعرضون لها، فقد استطاع الشاعر أن يتجاوز هذا الموقف السلبي من خلال توظيف الصور الرمزية التي ابتدعها عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبيرية لغوية يثري بها لغته الشعرية ويجعلها قادرة على وصف المستعمر، والتجسيد الحي للمعاناة الداخلية بصور محسوسة - حريق شب في بيتي، السجن، الديجور - ساهمت في إبراز القضية الجزائرية.

ج - جميلة بوحيرد رمز للنضال القومي :

احتل حضور المناضلة جميلة بوحيرد حيزاً كبيراً في نصوص الشعراء اليمانيين في العصر الحديث باعتبارها رمزاً من رموز الثورة والنضال الجزائري، حيث ألهمت وألهت قرائح الشعراء فعبّر عنها الشاعر "علي محمد لقمان" راسماً صورة التضحية من أجل فكرة كان ثمنها إعدام بوحيرد، ويتخذ الشاعر هذا الحكم للتهديد والوعيد بعد التعريض بالتناقضات التي تظهر بين مبادئ الثورة الفرنسية وسياساتها في الجزائر. يقول :

" أعدموها يا ظالمون فإنّ
سوف نكسوا سيبلكم بالدماء
ونغطي بهام جندكم الأر
ض ولن نكتفي بغير الغطاء

ونبيع النفوس لله بخسًا فنلاقي لديه خيرَ الجزاءِ
أعدِمُوها لتعبدها كما ألّه تمّو (جاندارك) في القدماءِ
أعدِمُوها فلنْ يقرّر حسام في قراب العروبة السّمحاءِ¹⁰

يشير الزهيري من خلال الصور المجسدة (نكسوا سبيلكم، نغطي بهام جندكم، نبيع النفوس بخسًا، فلن يقر حسام) إلى الثقة المطلقة بالامة الإسلامية وقدرتها على الانتقام و الثأر الذي تجسد في الفعل (أعدموها) هذا الاستعمال المجازي لفعل الأمر الذي أخرجه عن معنى (الطلب) إلى معنى آخر مجازي هو (التهديد والوعيد) يعكس نفسية الشاعر الغاضبة بسبب الحكم الفرنسي الجائر.¹¹

يصح الشاعر علي محمد لقمان بصوته الداخلي على لسان الشعب اليمني ثائراً من أجل قضية جميلة بوحيد التي لقبها بجان دارك العرب، لنضالها وكفاحها من أجل حرية شعبها، والتخلص من بطش المستعمر الفرنسي فكانت بذلك رمزاً للتحدي، وفي هذه النقطة يتشابك الحس الثوري والشعري، لأنه يمجّد البطولة وفي الوقت نفسه يستدعي التاريخ، ويعقد مقارنة بين كفاح جميلة عن أرضها وكسرها أصنام الاستعمار الذي يتآله في بلاد غير بلده، وكفاح جان دارك ضد الاستعمار الانجليزي. في صورة شعرية جمعت بين الحس القومي والأيدولوجية الاشتراكية داخل النسيج النصي لتمثل تشكلا دلاليا متنوعا يخصب الرؤية الشعرية.

2- جاليات تلقي الصورة الفنية في الشعر الإسلامي اليمني الحديث :

يمكن كشف عبقرية تلقي الصورة الفنية للشعر اليمني الحديث من خلال عناصر التناس، التكرار وكذا الموسيقى وفقا للآتي:

1-2 التناس :

يقول "تريفيتان تدروروف Tzvetan Todorov" : " لا يوجد تعبير لا تربطه علاقات بتعبيرات أخرى"¹²، وهذه علاقة جوهرية تماماً، لذلك ليس هناك تلفظ مجرد من التناس إذ كل نص في تكوينه يعود على الأقل إلى فاعلين، وبالتالي إلى حوار محتمل¹³

أما الناقدة البلغارية "جوليا كرسيفا julia kristiva" التي تعد أول من استخدم مصطلح التناس سنة 1966-1967 فتري أن " التناس هو التفاعل النصي في نص معين، ويشتمل على مجالات عديدة في النص الأدبي هي: التذكر أو الاستفادة أو الاستعمال الصريح أو المقنع أو الساخر أو الإيجائي للأصول.¹⁴

وبناء على ما سبق فإننا نرى أن التناس يعني وجود علاقة ترابطية بين نص ونص آخر سابق عليه أو مجموعة من النصوص، تؤثر في النص الأول بحكم ترابط النصين من حيث القضية التي يعالجها أو رغبة صاحب النص الثاني في إضفاء قيمة أخرى قد تكون دينية أو غيرها على نصه الحديث، وكانت النتيجة أن أصبح

النص الغائب نموذجاً جامداً، بمعنى أن النص الحاضر لا يقوم بالتفاعل مع النص الغائب بل يتعامل معه كأنه نص دخيل.

أما في الشعر الإسلامي الحديث فإن التناسل دائم الحضور والتوظيف، فأساس إنتاج أي نص هو رؤية صاحبه للعالم، وهذه الرؤية الفنية هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي، ولعل لغة الخطاب القرآني والسنة النبوية المطهرة من أهم المرجعيات التي يستمد الشاعر لغته منها ولها الهيمنة على تشكيل أفكاره ورؤاه.

أ- التناسل مع القرآن الكريم:

يستند الشاعر اليمني إلى ذاكرة مليئة بالثقافة الإسلامية العميقة المتجذرة في نفسه وعقله ولغته، والقرآن الكريم هو الرافد الديني الأهم الذي يستمد منه الشعراء العرب لغتهم، وهو المؤثر اللغوي الأقوى في الشعر الإسلامي الحديث، ولعل غنى القرآن الكريم واحتوائه على كثير من القصص الدرامية والرموز الدالة وصلاحته لكل زمان ومكان كانت ضمن الأسباب التي دفعت الشعراء أن يعموا وجوههم شطره؛ ليغرفوا من منبئه الذي لن ينضب، فوجدوا ضالته في آياته المحكمات.

وقد يستعين الشاعر بالنص القرآني عن طريق تضمين النص الشعري الحديث جزءاً من آية مع الاحتفاظ بالفاظ النص القرآني، ولكن مع تغيير في دلالاته ومن ذلك هذا النموذج للشاعر عبد العزيز المقالح يقول:

"عند أكوخ اليتامي تلعنونه

أنه أشهر من تاجر في سوق العبد

في بلادي حيث يبدى ويعيد

حيث لا شيء جديد"¹⁵

يقم الشاعر علاقة تناسلية مع الآية الكريمة. قال تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي

وَيُعِيدُ¹⁶﴾

فالنص الشعري هنا يستعين بالآية الكريمة في سياق مناقض لسياق الآية التي تنبئ عن صفة من صفات الله تعالى هي (يبدئ ويعيد)، والشاعر في هذا النموذج يستعير الآيات لسياقات جديدة غير سياقاتها الأصلية يبرز من خلالها حالة التناقض في حياة هذا الحاكم الذي يعيش شعبه في (أكوخ) كالعبيد، فلم يزد على أن يكون هذا الحاكم تاجراً للعبيد (نخاساً) مع ما يجمله هذا الوصف من صورة قبيحة في الأذهان، يزيد من هذا القبح أن العبيد هم الشعب وأن التاجر هو النخاس الذي يتصرف تصرف الإله الذي يبدئ ويعيد.¹⁷

أما التناسل مع القصص القرآني فقد شغل مساحة كبيرة من متن القرآن الكريم، وهذا يفصح عن أهمية القصة في التداول الثقافي، والاجتماعي عند المسلمين فضلاً عن عمق دلالاتها وأصاله فكرها وحكمة مضمونها.

ومن ذلك قول الشاعر محمد محمود الزهيري :

"لو كسبت الإيمان إيمان إبراهيم يوماً لكنت إبراهيمياً
أو لأدلت من تأله في الأرض وحطمت أثقه تحطياً
ولد مرة كل من كان نمروداً و أذريته حطاماً هشياً
ولكانت دنياءك برداً وسلاماً ولو سكنت الجحياً"¹⁸

يرى الزهيري أن استعانة الشاعر بخطاب سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود الطاغوي جاء كتناص رمزي يجتذبه الدعاة المجاهدون في نضالهم ضد طواغيت السياسة الفاسدة في المجتمع اليمني؛ لأن الطغاة صيغة واحدة، وطبيعة مكررة مما تباعدت أزمانهم وأماكنهم، يجمعهم حب التأله والعلو الذي نذر الشاعر نفسه لمحاربتهم، وكسر أصنامهم البشرية، واقتلاعها من وجه الأرض.¹⁹

تبوح قراءة الزهيري للمتلقى بواقع الصراع السياسي الذي يعيشه المجتمع الإسلامي، إذ يصور الشاعر إدانته لحكام السلطة، وينعتهم بصفات دالة على الطغيان (لو كسبت الإيمان ، لكانت دنياءك برداً و سلاماً)، ولننظر إلى طريقة الشاعر في الاستعانة بالنص القرآني التي توحى بقدرتها على تجاوز الأحداث الحقيقية في القصة القرآنية، ثم القيام بخلق أحداث جديدة ولغة جديدة مستمدة منها، وفي هذا النموذج قد لا يتبين للقارئ الألفاظ القرآنية المتعلقة والمتداخلة بالنص الحديث وذلك بسبب جودة السبك وعبقورية الحبك وفي نموذج شعري آخر يستعين الشاعر بقصة سبأ، بشكل لا يختلف عن سابقه في درجة تجاوز الحدث الحقيقي ودرجة دمج مع رؤياه يقول : أحمد محمد الشامي :

"يوما من الأيام قد كانت

بلادنا (سعيده)

طيبة كانت

وربها غفور

كما حكى (القرآن)

ثم طغى (العصاه)

واستكلب الطغاه

فاندثرت تلك الديار،

ومزقوا (أيدي سبأ)

لكنها كانت ذنوب الأولين".²⁰

يقتبس الشاعر من القرآن الكريم قصة سبأ في نقد الأوضاع التي تعيشها بلاد (اليمن)، ويظهر هذا النقد في مواضع كثيرة من النص (يوماً من الأيام قد كانت بلادنا سعيدة، ثم طغى العصاة، كانت ذنوب الأولين)، والهدف من وراء هذا التناص هو التعبير عن فساد الحكم والسلطة، كما لم يكن غرضه من نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية الفاسدة في القصة دينيا، وإنما كان الغرض سياسيا، والغاية منه نقد الواقع.

ب- التناص مع الحديث النبوي:

يعد الحديث النبوي المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم في التلقي والاستدلال، ولا شك أن الشعراء اليمانيون كانوا على وعي تام بقيمة الحديث النبوي من الناحيتين اللفظية والمعنوية، إذ عكفوا على استلزام نصوصه، وتوظيفها في أشعارهم حتى يضيفوا عليها طابعا دينيا وجاليا بما تتضمنه تلك الأحاديث من مفردات بليغة.

وقد تنوعت طرق التناص مع الحديث كما هي مع الآيات القرآنية، ولنأخذ هذه النماذج لنوضح مدى تفاعل الشعراء مع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فمن ذلك قول الشاعر محمد سعيد جرادة:

"والمرأة احتقر الرجال مقامها واستخدموها دمية خرساء
باليتم درسوا الكتاب وأدركوا أثر الحديث فقدروا حواء
أوصى الرسول صحبه أن يسألوا شطر الشريعة تكلم الحمراء"²¹

يطرح الزهيري "مسألة المرأة وتعليمها في ضوء الحديث النبوي الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "خذوا شطر دينكم عن هذه الحمراء" والمقصود بالحمراء الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إذ يشير الحديث إلى مسائل كثيرة في تعليم المرأة يحتاج إليها المسلمون في هذا العصر، أهمها مشروعية تعلم المرأة إذ لم يمنع الحفر والحجاب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن التعلم والتعليم"²²

وجاء التعالق النصي مع الحديث النبوي ليعضد فكرة تعليم المرأة المسلمة، وتبيين معالم المنهج النبوي في التعامل مع المرأة لدى بعض المسلمين الذين حملوا حقوقها في التعلم والتعليم بسبب الجهل والتأثر بموجات الفكر الغربي التي جاءت بها الحملات التبشيرية لبلاد المسلمين، وعلى إثر هذا الاختلاف بين المنهج النبوي أساليب مختلفة في تعليم المرأة وما لذلك من مزايا في إصلاحها واستقامتها، وكذا في إصلاح أسرتها ومجتمعها.

وفي ضوء هذا المعطى يمكن القول إن اتخاذ الشعر الإسلامي اليماني الحديث مواقف إيجابية متوازنة من قضية المرأة المسلمة في ظل القيم الإسلامية حصنها من التأثر بالمرأة الأوروبية، والتأثر بنظريات النقد الغربي التي تؤول في حقيقتها إلى استجابات غريزية هي صدى لعبودية جديدة.

وفي نموذج آخر اتخذ الشاعر "زيد الموشكي" من التناص سلاحا فعالا في معركته ضد الانحرافات السياسية والاجتماعية يقول:

"تخاصنا بالدين و الدين موجعٌ لأنك قد أدميت محجته عدا
قضى باحترام المال و العرض و الدما فلم تجد إلا الخلاف له ردا" ²³
يتناص خطاب الشاعر مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن دماءكم و أموالكم و أعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، كل المسلم على المسلم حرام دمه و ماله و عرضه" ²⁴،
والقارئ لهذا النص الشعري يلاحظ أن الشاعر أجرى بعض التحويلات اللفظية والتركيبية على نص الحديث
لضرورة الاستعمال السياقي للألفاظ التي نقلت الصورة الفنية (الدين موجع - لأنك قد أدميت محجته) من
صورة حسية إلى صورة مادية، جاعلة من الدين بشراً يوجع وتدمى محجته بسبب الانحراف وفساد السلطة
الحاكمة.

2-2 التكرار :

بعد التكرار ظاهرة لغوية معروفة في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي وتناوله النقاد العرب القدامى
بالدراسة المبدئية، إلا أننا نراه قد أخذ منحى جديد في الشعر العربي الحديث وأصبح يمثل ظاهرة لغوية فنية
ذات قيمة أسلوبية يؤدي في القصيدة دوراً تعبيرياً واضحاً، فتكرار الألفاظ والعبارات يوحي بشكل أولي بسيطرة
هذا العنصر المكرر والحاحه على فكر الشاعر، بهدف كشف المشاعر الدفينة والإبانة عن الدلالات الداخلية.
وقد حدد النقاد في العصر الحديث شروطاً لنجاح فعالية أسلوب التكرار، ومن المؤكد أن اختلال
أهداف استخدامه، هذه الشروط توجزها الناقدة نازك الملائكة في شرطين أساسيين " أن يكون اللفظ المكرر
متين الارتباط بالسياق، وأن يلقي ما بعد اللفظ المكرر عناية الشاعر الكاملة" ²⁵ أو كما عبرت عن الشرطين
بطريقة أخرى: "الأساس العاطفي والهندسي للعبارة" ²⁶

والتكرار يدل على أهمية تلك الألفاظ وقوة حضورها في ذهن الشاعر، والشاعر يريد من خلالها أن
تخطى بقوة الحضور نفسه لدى المتلقي، ومن نماذج ذلك قول الشاعر الزبيدي :

" يستغل الإسلام حتى كائن الدين يئدو كسلعة أحمديّة

وكأنّ الشّرع الشّريف كما شاءت أمانيه للمخازي مطيه

وكأنّ الطُّغيان والقَتْل والسلب فنون من العلا قدسيه

وكأنّ السّماء (مقام شريف) تنحني للأوامر العرضويّة" ²⁷

يوحي هذا التكرار المتعمد لحرف التشبيه (كأنّ) بحالة الحزن التي تعانها نفسية الشاعر إزاء ممارسات
الحاكم الفجة للسلطة في اليمن وسوء استغلال الدين وتحريفه عن مقاصده النبيلة الشريفة، الأمر الذي يثير
الشعب بالموت والهلاك بدل العز والتطور. ويتعزز هذا الشعور من خلال تنويع التراكيب التي تلت التكرار

وإثارة الشاعر حرف (كأن) لأنه على عكس الكاف وغيرها من حروف التشبيه، تلون التشبيه وتنوعه مما يضيف على اللغة كثافة تشدد انتباه المتلقي إلى القضية التي يلح عليها الشاعر من خلال التكرار.

ومن نماذج تكرار الحروف في الشعر الإسلامي الحديث أيضا قول الشاعر عبده عثمان :

"يا (أبا دواد)

(يا كنفاني) (يا أبو يوسف)

(يا ناصر) يا (يا عدوان)

يا آلاف الشهداء

يا أعظم يا أنبل من أنجبهم زميني؟؟

يا معجزة العقم السائد في وطني

من أين جئتم؟؟

هل أبقاكم خالد في اليرموك؟؟

أم من جند (صلاح الدين) لنا عدم²⁸

يرى الزهيري أن تكرار حرف النداء (الياء) تسع مرات في ستة أبيات " يحمل دلالات معنوية

ونفسية وجمالية. فإذا كان النداء يهدف إلى التنبيه فإن نداء الأموات يحمل - إلى جانب نظرة الإكبار والإجلال

لهؤلاء الأبطال الذي بذلوا أنفسهم رخيصة في سبيل قضيتهم العادلة- التقرير والاستنهاض للأمة، لأنها تعيش

حالة من النوم العميق الذي يحتاج إلى تكرار النداء حتى يتم الاستيقاظ التام.²⁹

أما دلاليا فإن تطور البنية الدلالية من النداء إلى الرؤية البصرية، فرض حالة من الانسجام بين

موضوع النداء الذي هو حوار مع الشهداء بكل محولاته، والسياق الزمني الذي تتضمنه البنية الشعرية وتطرعه

ذات الشاعر بديلا للواقع المأسوي ممثلا في الأمل وفي اندحار الوجه المظلم وانبجاس الوجه المشرق.

فبنية العنوان "حوار مع الشهداء" تلقي بظلالها على حالتي التكرار: تكرار النداء، وتكرار الرؤية التي

فرضت حضورها في خاتمة النص، فحالة التكرار الأولى - تكرار حرف النداء - تتكشف في بدايات المقطع

الشعري وتبرز فاعليتها، وحالة التكرار الثانية هي رؤية الشاعر للواقع السيئ التي تعيشها الأمة العربية التي أدت

إلى توالي هذه الاستفهامات (من، هل، أم) وكأن الشاعر يستغرب تعدد أبطال الماضي المجيد، ويعجب من عقم

الأمة في حاضرها عن إنجاب بطل يرفع عنها الغبن والحسرة، فظهر ذلك من خلال تكرار الاستفهام المنبثق من

تكرار النداء كنتاج دلالي له .

وفي نموذج آخر للشاعر علي محمد لقمان يقول :

" هنا وطنٌ حرٌّ أي مكرم وشعبٌ عزيزٌ يُشَدُّ المجدَ ثائرٌ"

هنا عربٌ أخلاقهم من ساحةٍ هنا المسلمون المؤمنون القياصرَ
هنا الوحدة الشَّاء يبدو ضياؤها وقد ظهرت أوضاعها والبشائر
هنا أملٌ يرجو الجنوب ازدهاره ومستقبلٌ من وارثِ الظِّل زاهر³⁰

شكل الاستهلال التكراري الحرفي (هنا) تيمة أساسية لها دلالتها المكانية عبر الصورة الفنية بأبعادها المحسوسة (وطن، عرب، شعب) والمعنوية (الوحدة، أمل، المستقبل) ليعكس - كما يرى الزهيري - "مدى ثقة الشاعر بشعبه وأُمته ووطنه، ويفتح الشاعر عينيه على عالم يطمئن إليه و يحلم به."³¹

ضمن حيثيات هذه القراءة يضعنا الزهيري أمام رؤية تأويلية حول إنتاج الدلالات النصية المكررة على خير الاسم المكرر (وطنٌ حرٌّ أي مكرم) و (شعبٌ عزيز ينشد المجد ثائر) التي توجي بوجود علاقة بين المتن الشعري والواقع الاجتماعي والسياسي، مفاهيم التحرر من قيود السلطة الحاكمة التي وظفها الزهيري في سياق تحليله لدلالة التكرار "هنا" من المفاهيم المعبرة عن إيديولوجية الجماعة أكثر من تعبيرها عن قضايا فنية وجمالية وهو ما جعل التحليل يسير باتجاه تحقيق إيديولوجية النص للإفصاح عن أسرار المقموعة وعن الضغوط التي مورست على الشعب اليمني من قبل إيديولوجية السلطة.

احتل تكرار الضمائر المرتبة الثانية بعد تكرار الحروف، وقد كرر الشاعر اليمني الحديث مختلف الضمائر من (مخاطب - غائب - متكلم) و (منفصل - متصل) وسنقف على بعضها، ومن أمثلة ذلك قول محمد الزهيري:

"وهم الأولى، اقتحموا على اسبانيا أسوارها فتحكموا وأقاموا
وهمو، بمعترك الحروب صوارم وهمو، لبنان العروش دعام
كانوا، بأعصاب العروبة ثورة تحكي الملوك بها وترمي الهام
وهم الأولى البانون عرش أمية نهض الوليد بهم، وعزَّ هشام"³²

شكل تكرار ضمير الغائب المنفصل (هم) أربع مرات في أربعة أبيات جزءاً من الزخم الهندسي المتكرر والمتتابع المعبر عن لوعة وحزن الشاعر بسبب الشعور بضياح الأمة الإسلامية في حاضرها، فالضمير الجمعي بمعرض مدح الأسلاف يحمل رسالة واضحة للأمة حملة الضمير العائد على الغائب (هم) وهذه الرسالة هي أن الماضي المجيد لا يفيد إذا لم يمتد به في بناء الحاضر، كما نجد ذلك بصيغة تكرارية مختلفة في قول الشاعر حسين البار:

"يا بلادَ العربِ يا خير البلادِ يا ابنةَ التاريخِ وفضل المعادِ
أنبَ محمد للمعالي و الرشادِ فيك قد شعشع نورٌ فوق نورِ
أنبَ أنجبت السراة العظاء أنبَ أخرجت الرجال الحكاء

أنت محمد الرسل محمد الأنبياء أنتِ اطلعت نجوماً لا تغور³³
يقول الزهيري: " جاء تكرار ضمير المخاطب " أنتِ " خمس مرات معبراً عن انفعال داخلي يجيش في نفس الشاعر، لأن التركيز على ضمير المخاطب شديد الارتباط بالوظيفة الإفهامية والوعظية، لذلك فتكرار الضمير هنا ليس مجرد تكرار لفظي، أو محاولة لملء فجوات مكانية إنما يحمل في الوقت نفسه دلالة مكانية.³⁴
فإننتاج الدلالة التكرارية في هذا النموذج الشعري نابع من كثافة الحالة النفسية للشاعر ورؤيته الاستشرافية للمستقبل من خلال الماضي، كما أفصح السياق النفسي عن حالة ركود يعيشه الشاعر المسلم في العصر الحاضر مما ولد لديه حالة تتوق عارمة إلى تغيير حالة الركود، وهذا التغير المستقبلي لن يكون إلا على أساس الحضارة والتاريخ.
وكثيراً ما تحمل العاطفة الدينية على التكرار، ويكثر ورود ذلك في الأشعار الحماسية، وكثيراً ما يأتي التكرار لتأكيد الرفض ولترسيخ صلابة الموقف فيدعو لانبعاث روجي ينظمه الشعراء لأمتهم، فيقوم التكرار بث روح الحماس في ثنايا القصيدة.

2-3 تلقي موسيقى الشعر في الشعر الإسلامي اليميني الحديث :

تعد موسيقى الشعر أحد اللبّات الأساسية المكونة للغة النص الشعري حيث تتضافر الوحدات الصوتية في توالي المقاطع وتردد بعضها بقدر معين منها لإحداث الانسجام، والتواشج بين العناصر المتألفة محققة باجتماعها مع المفهوم الشامل والواسع للغة الشعرية الإيقاعية.
ومن المسائل التي تتبعناها في تلقي موسيقى الشعر الإسلامي اليميني الحديث، دراسة شيوع البحور الشعرية المتداولة بنسب قياسية في الأغراض الموضوعية، فالقارئ للمدونات الشعرية في أطروحة الزهيري يجد أن معظم القصائد الشعرية قد نظمت وفق السياق الموضوعي والحالات النفسية لدى الشاعر.
ويمكن تقسيم هذه الأوزان الشعرية إلى قسمين :
- أوزان شعرية مألوفة شائعة في النصوص الشعرية العربية وتضم (الطويل، الكامل، البسيط، الخفيف الوافر)
- أوزان متوسطة الانتشار (المتقارب، الرمل، السريع، الرجز)

وإذا كان السياق الموضوعي قد أسهم بشكل فاعل في تحديد الأوزان الشعرية فقد أدى الوصف الإحصائي دورًا محوريًا في تحديد البعد الكمي الترددي للأوزان الأساسية المتداولة في القصائد الإسلامية الحديثة الذي نوضحه في هذا الجدول :

النسبة المئوية	عدد القصائد		البحر
%26.49	146 تامة	169	الكامل
%4.17	23 مجزوءة		
%19.05	105 تامة	107	الخفيف
%0.36	مجزوءتان		
%14.70		81	الطويل
%12.70	70 تامة	71	البسيط
%0.18	01 مخلع بسيط		
%7.25	40 تامة	57	الرمل
%3.08	17 مجزوءة		
%5.26	29 تامة	31	الوافر
%0.36	مجزوءتان		
%3.62	20 تامة	21	المتقارب
%0.18	قصيدة مجزوءة		
%1.45		08	السريع
%1.08		06	الرجز
%99.94	551 قصيدة		المجموع 09 بحور

بتأمل القيم الكمية لهذا الجدول الإحصائي يتضح أن الشعراء الإسلاميين في اليمن في العصر الحديث انتهجوا سميت الشعراء القدامى في العصور المتقدمة (العصر الجاهلي — العصر العباسي) في محاكاة أوزان البحور الأساسية وهي نسبة عالية جدًا بالقياس إلى غير ما نظم في الأوزان الأخرى، حيث ظل بحر الطويل يحتل صدارة الأوزان الشعرية منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، فعند أي تمام تصدر الكامل حيث نظم نصف شعره من الكامل، وربعه من الطويل.³⁵

و يمكن تفسير تراجع مكانة بحر الطويل لدى الشعراء الإسلاميين الحديثين إلى تفاعلاته التي لا تأتي إلا تامة فهي تناسب التعبير عن العواطف المتأججة ولا سيما في أغراض المدح والوصف والغزل والفخر والهجاء وغيرها من الموضوعات التي تمنح للشاعر مساحة التعبير وفسحة زمنية تجعله قادراً على استيعاب مشاعره وانفعالاته.

والشعر الإسلامي الجني الحديث الذي تزامن مع أفول الحضارة العربية الإسلامية نظمت أغلب قصائده في الدعوة للجهاد والدعوة إلى نصرة المستضعفين وكتابة الواقع السياسي والاجتماعي للأمة الإسلامية، مما يبين أن بحر الطويل لم يعد يناسب حركة العصر الحديث .

إن تغير المفاهيم الاجتماعية من بيئة إلى أخرى ودخول عوامل كثيرة أدى إلى إحداث التحول في ميزان النظام الإيقاعي للبحور الشعرية ذات المقياس النغمي الواسع إلى البحور القصيرة المجزوءة، ويعد بحر الكامل أحد الأوزان الشعرية الشائعة في العصر الحديث، حيث وفرت له تفاعلاته امتداداً واسعاً على مستوى تشكيلاته الإيقاعية المنسجمة التي تتيح للشاعر التواء النفس³⁶، والتعبير عن خياله في إيقاع موسيقي تنظم فيه الدفقة الشعورية.

فنظم ثلث الشعر الإسلامي الحديث في اليمن على إيقاع بحر الكامل يعود إلى هيمنة الموضوعات الإسلامية والاجتماعية في العصر الحديث أكثر من الموضوعات الذاتية التي تناسبها الأوزان ذات التفاعلات الطويلة كبحر الطويل والبسيط.

أما بحر الخفيف فيؤطر مائة وسبعة قصيدة تامة تتوزع على ثلاثة وعشرين قصيدة مجزوءة ومائة وخمسة قصيدة تامة، وقد طغى حضور بحر الخفيف في المدونات الشعرية الإسلامية لقرب نظمه الشعري من الكلام المنشور لصلاحيته لجميع معاني نصوص الشعر الإسلامي الحديث .

إن ما يستوقف المتلقي أمام هذه الدراسة الإحصائية هو تراجع بحر الرجز في الاستعمال الإيقاعي، فلم ينل من تقدير الشعراء الإسلاميين ما يؤهله لتبوأ منزلة بين البحور الشعرية الأساسية حيث لم تتجاوز نسبة تداوله في قصائد الشعر الإسلامي الحديث حسب الجدول السابق 1.08% ويرجع إعراض الشعراء عن قرض الشعر على وزن إيقاع بحر الرجز إلى أسباب متعددة :

أولها أن بحر الرجز وزن ميسور يستطيع أن ينظم عليه كل الشعراء ولعله السبب في وصفه معبود الشعراء وبالتالي فإن الشعراء يعرضون عنه تجنباً لاتهم في قدراتهم الشعرية، وثانيها أنه ارتبط بالزرعة التعليمية في العصر الأموي واشتهرت به طبقة من الشعراء عرفوا باسم " الرجاز"، وثالث الأسباب دخول زحاف الخبن على تشكيلاته الإيقاعية فيغدو هذا الزحاف الثقيل المتعب ريك الإيقاع وقرب لغته الشعرية إلى اللغة النثرية.³⁷

مما يدل على أن الشاعر لا يسعى للتخلص من أعباء الوزن والقافية بقدر ما يجسد إبداعه في تجريب أشكال موسيقية جديدة قادرة على استيعاب حالته الشعورية.

ومن المسائل الأخرى التي تقفينا أثرها في دراسة الزهيري قلة المجزوءات في نصوص الشعر الإسلامي اليميني الحديث مقارنة بنسبة ارتفاعها عند شعراء العصر الحديث، حيث بلغت مجزوءات الكامل وهي أعلى نسبة للمجزوءات 4.17% تليها مجزوءات بحر الرمل بنسبة 3.08%، ثم مجزوءات الوافر بمجزوءتين بنسبة 0.36%، ثم المتقارب بمجزوءة قدرت بـ 0.18% ثم لا تكاد توجد مجزوءات أصلا، وعلة ذلك أن القصائد المجزوءة اختص بها شعراء الغناء والإنشاد فارتفعت نسبة تواترها على غرار موضوعات الشعر الإسلامي الحديث البعيدة عن الغناء والإنشاد لأنه شعر رسالة وقضية.³⁸

خاتمة

قادتنا سيرورة التحليل المتبناة في هذه الدراسة إلى جملة من النتائج نصوغها كالآتي :

- ربط الباحث الزهيري في دراسته للخطاب الشعري الإسلامي اليميني الحديث بين الرؤية الشعرية للشعراء اليمينيين والمكونات الفنية بغية إبراز الحس الجمالي المنفتح على إمكانيات متعددة من القراءة والتأويل.
- أثرت الثقافة الدينية التي تكمن في أعماق الشعراء اليمينيين على التناس من النصوص الغائبة؛ حيث استندوا على لغة القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، لاستلهاام الألفاظ والإيجاءات الدلالية التي تحملها تلك اللغة ووجدنا أن النصوص القرآنية تشكل المصدر الرئيس في التناس.
- بالرغم من النماذج الشعرية المتعددة في الخطاب الشعري الإسلامي اليميني الحديث فقد اختار الزهيري ما يناسب رؤيته النقدية في معالجة الواقع السياسي والاجتماعي للأمة العربية.
- بينت دراسة الزهيري أهمية التكرار اللغوي بوصفه وسيلة تعبيرية مهمة في كشف ما يحتويه النص من محمولات ثقافية سياسية، واجتماعية مضمرة.

هوامش :

¹ محمد أحمد الزهيري، 2021، الشعر الإسلامي الحديث في اليمن 1917.1962 الرؤية والفن، ط1، عمان، دار غيداء، ص

86

² المصدر نفسه، ص 86

³ المصدر نفسه ص 88

⁴ المصدر نفسه ص 93

- ⁵ المصدر نفسه ص 94
- ⁶ المصدر نفسه ص 95
- ⁷ سورة محمد، الآية 35
- ⁸ المصدر السابق ص 104.105
- ⁹ المصدر نفسه ص 106
- ¹⁰ المصدر نفسه ص 107
- ¹¹ ينظر: المصدر نفسه، ص 107
- ¹² ترفيتان تدروف، ميخائيل باختين، 1996، المبدأ الحوار، تر: فخري صالح، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص 147
- ¹³ ينظر: المرجع نفسه، ص 147.149
- ¹⁴ داغر شربل، 1997، التناس سبيلا إلى دراسة النص الشعري، مجلة فصول، القاهرة، مج 16، ع 21، ص 127 128
- ¹⁵ محمد أحمد الزهيري، الشعر الإسلامي الحديث في اليمن، مصدر سابق ص 277
- ¹⁶ سورة البروج الآية 12. 13
- ¹⁷ ينظر: المصدر السابق، ص 277
- ¹⁸ المصدر نفسه، ص 281
- ¹⁹ ينظر: المصدر نفسه، ص 281
- ²⁰ المصدر نفسه، ص 283
- ²¹ المصدر نفسه، ص 284. 285
- ²² المصدر نفسه، ص 285
- ²³ المصدر نفسه، ص 285
- ²⁴ مسلم بن حجاج، 2006، صحيح مسلم، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفايبي، ط 1، الرياض، دار طيبة، ص 557
- ²⁵ ينظر: نازك الملائكة، 1983، قضايا الشعر المعاصر، ط 7، بيروت، دار العلم للملايين، ص 266
- ²⁶ المرجع نفسه، ص 280
- ²⁷ محمد أحمد الزهيري، الشعر الإسلامي الحديث في اليمن، مصدر سابق ص 292
- ²⁸ المصدر نفسه، ص 293
- ²⁹ المصدر نفسه، ص 293
- ³⁰ المصدر نفسه، ص 296
- ³¹ المصدر نفسه، ص 296
- ³² المصدر نفسه، ص 295
- ³³ المصدر نفسه، ص 295
- ³⁴ المصدر نفسه ص 295

- ³⁵ ينظر: محمد عياد شكري، 1978، موسيقى الشعر العربي، ط2، القاهرة، دار المعرفة، ص 18.
- ³⁶ ينظر: عبد الكريم راضي جعفر، 1998، رماد الشعر: دراسة في البيئة الموضوعية و الفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، ط1، بغداد، الشؤون الثقافية العامة للنشر والتوزيع، ص 342.
- ³⁷ ينظر: مسعود وقاد، (2010/2011)، جماليات التشكيل الإيقاعي في شعر عبد الوهاب البياتي، أطروحة دكتوراة، باتنة الجزائر، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص 188.187.
- ³⁸ ينظر: محمد أحمد الزهيري، الشعر الإسلامي الحديث في اليمن، مصدر سابق، ص 358.

قائمة المراجع

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع

- تزفيتان تدراف، ميخائيل باختين، 1996، المبدأ الحواري، تر: فخرى صالح، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- داغر شربل، 1997، التناسق سبيلا إلى دراسة النص الشعري، مجلة فصول، القاهرة، مج 16، ع 21.
- عبد الكريم راضي جعفر، 1998، رماد الشعر: دراسة في البيئة الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، ط1 بغداد، الشؤون الثقافية العامة للنشر والتوزيع.
- محمد أحمد الزهيري، 2021، الشعر الإسلامي الحديث في اليمن 1917-1962 الرؤية والفن، ط1، عمان، دار غيداء.
- محمد عياد شكري، 1978، موسيقى الشعر العربي، ط2، القاهرة، دار المعرفة.
- مسعود وقاد، (2010/2011)، جماليات التشكيل الإيقاعي في شعر عبد الوهاب البياتي، أطروحة دكتوراة، باتنة الجزائر، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- مسلم بن حجاج، 2006، صحيح مسلم، تح: أبو قتيبة نظرمحمد الفايبي، ط1، الرياض، دار طيبة.
- نازك الملائكة، 1983، فضايا الشعر المعاصر، ط7، بيروت، دار العلم للملايين.